الرِّسَـــالة ٨٧

لمَاذا تضْطهدُنى؟!

(Arabic - Why do you persecute me?!)

أحبّائِى.. حَديثنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **الاضْطهَادُ.. لِمَنْ هُو مُوَجّهٌ؟**

ومِنْ سفر أعمَال الرُسل الأصْحَاح التاسِع نقرَأ العَدَدَيْن الثالِثَ والرّابعَ:

".. وفى ذهَابِهِ حَدَثَ أنهُ اقتربَ إلى دِمِشقَ فبَغتة أبرَق حَولهُ نورٌ مِنَ السّمَاء فسقط على الأرض وسَمِعَ صَوتاً قائلاً لهُ: شاول! شاول!.. لمَاذا تضطهدُنى"؟!.[١]

كانَ شاول الطرسُوسىّ صَاحبَ مَبْدَأ.. وكانَ ذا غيْرَةٍ وحَمَاسَةٍ لمبْدَئِهِ.. كانَ يتعاملُ بكلّ عنفٍ مَعَ مُعترضيهِ.. وأمثالُ شاول الطرسوسى كثيرونَ فى كلّ عصر.. فقدْ يُغالى المَرْء فى غيْرَتِهِ وتحَمّسِهِ لمبَادئِهِ ويَصلُ بهِ الحَمَاسُ والغيْرَةِ إلى الإيذاء بغيْرِهِ وبنفسِهِ.. والعَجيبُ أنْ نرى بعْضَهُمْ مُضَحياً بحيَاتِهِ فى عَمليّةٍ انتحَاريّةٍ ليَقضىَ على آخرين الذين ناصبَهم العداء بلا ذنبٍ اقترفوه ولكن لمُجرّدِ أنّهُمْ مُخالفونَ لهُ فى الرأى.. وللأسف نجدُ مِنْ ورَائهِ مَنْ يقنعُهُ أنهُ فى سبيل الله يَمُوتُ وأنّ لهُ الجنة إذا فعَلَ ذلكَ!.[٢]

يُسجلُ الكتابُ المقدّسُ أنّ شاول كان مَشحُوناً بسمُوم تعَصّبٍ بَغيض.. فرَاحَ "ينفثُ تهدّداً وقتلاً على تلاميذ الرّبّ".. كانَ يَجنّ جُنونهُ إذا سَمِعَ أناساً يتكلمُونَ عنْ شخص يُدْعَى يَسُوع الناصرىّ حكم عليه الرُومان بالمَوت وبإيعاز مِنْ رؤسَاء كهنةِ اليَهُود صلبُوهُ حتى المَوْت.. ولكنْ تلاميذ يَسُوع كانوا يُعلنونَ أنهُ قامَ مِنَ الأمْوات.. وأنهُ ظهَرَ لهُم كمَا لأكثرَ مِنْ خمْسمِائةِ أخ.. كانَ أكثرُهُمْ باق حينَ كانَ شاول حيّاً.. لمْ يُصدقْ شاول فى البَدْء تلكَ الأخبَار. ومَا كانَ يَسْمَحُ لمنْ صَدقَ بأنْ يُعلنَ إيمَانهُ بيسُوعَ الحىّ.. حَمِىَ غضبُهُ على مَنْ نادُوا بيَسُوعَ الحَىّ.. فسَارَعَ إلى رئيس الكهنةِ وطلبَ مِنهُ رسَائلَ إلى دِمِشق.. "حتى إذا وَجَدَ أناساً مِنَ الطريق رجَالاً أو نِسَاءً يَسُوقهُمْ مُوثقين إلى أورُشليم".. وفى ذهابِهِ حَدَث أنهُ اقتربَ إلى دِمِشق.. "فبغتة أبْرَقَ حولهُ نورٌ مِنَ السّمَاء. فسقط على الأرض وسَمِعَ صوتاً قائلاً لهُ: شاول شاول لمَاذا تضطهدُنى؟. فقالَ لهُ: مَنْ أنتَ يَا سَيّدُ؟!. فقالَ لهُ الرّبّ: أنَا يَسُوع الذى أنتَ تضطهدُهُ صَعْبٌ عَليْكَ أنْ ترْفسَ مَنَاخِسَ!".[٣]

اكتشفَ شاول أنهُ كانَ مَخدُوعاً مُستغَلاً مِنْ قادَةِ الدّين المُتعصّبين.. وكاتبُ سفر أعْمَال الرُسل يُسَجلُ بالأصحَاح الثامِن تلكَ الكلمَاتِ: "وأمّا شاول فكانَ يَسْطو على الكنيسَةِ وهو يَدْخلُ البُيُوتَ ويَجُرّ رجَالاً ونِسَاءً ويُسلمُهُمْ إلى السّجْن".. ولقدْ كانَ شاول مَغرُوراً بعلمِهِ وثقافتِهِ الدينيّةِ ويفتخرُ بأنه تلقى العلومَ اللاهوتيّةِ على يَدِ أشهَرِ مُعلمِى الشريعَةِ فى ذلكَ الوَقتِ.. فبالأصْحَاح الثانى والعشرين يُسَجلُ كاتبُ سفر أعْمَال الرُسل ما قاله شاول بعد إيمانهِ بخلاص يَسُوع المَسيح وهو يتحَدّث عنْ نفسِهِ لليَهودِ اليونانيّين مُتأسفاً على مَاضيهِ حينَ كانَ بجَهل يَضطهدُ المَسيحيّين: "أنا رَجلٌ يَهودىّ وُلدْتُ فى طرْسُوسَ كيليكيّة.. ولكنّى نشأتُ فى هذِهِ المَدِينةِ وتعلمْتُ عِندَ قدَمَىّ غمَالائيل التربيَةِ المُوافقة تمَاماً لشريعَةِ آبَائنا.. وكنتُ غيّوراً لله كمَا أنتمْ جَميعُكم ٱليَومَ.. واضطهَدْتُ هذا الطريق حتى المَوتِ مُقيّداً ومُسلِماً إلى السّجُون رجَالاً ونسَاء.. كمَا يَشهَدُ لى أيْضاً رئيسُ الكهنةِ وجَميعُ المَشيخةِ الذين إذ أخذتُ أيضاً مِنهُمْ رَسائلَ للإخوَةِ إلى دِمِشق ذهَبْتُ لآتى بالذينَ هُناكَ إلى أورُشليم مُقيّدينَ لكى يُعاقبُوا!".[٤]

كانَ شاول يَرَى أنّ واجبَهُ أنْ يُوقفَ تلاميذ يَسُوع الذينَ هُمْ فى نَظرهِ وفى نَظر باقى اليَهُود عاميّون عَديمِى العِلم فاذا بهِ يَكتشفُ أنّ عِلمَهُ كانَ جَهَالة. وكان مُستنداً على سُلطان رُؤسَاء الكهنَةِ لأنهُمْ قادة الشعْب

---

[١] أعمال الرُسل ٩: ٣ – ٤ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] أعمال الرُسل ٩: ١ – ٣٠ & ٢٢: ٦ – ٢١ & ٢٦: ١ – ٣٢

[٣] رسالة يعقوب ٣: ١٦ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٥: ٥ – ٨ & أعمال الرُسل ٢: ٢٢ – ٢٤

[٤] أعمال الرُسل ٨: ٣ & ٢٢: ٣ – ٥ & ٢٥: ١٩

المَسئولينَ فى ذلكَ الوقت فإذا بهِ يَكتشفُ أنّهُمْ عُميَانٌ قادَة عَميَان.. إنّ النورّ العَظيم الذى أبرقَ حَوله أزالَ الغشاوَة مِنْ عينيه[1].. وأوْضَحَ أمَامَ شاول الذى أصبْحَ اسمُهُ بولس حَقيقتيْن هامتيْن:

أولاً: المبدأ الجَوْهَرِىُّ للمَسيحيّة مَبْنِيّ على أنّ يَسُوعَ المَسيح هو ابنُ الله.. تجَسّدَ ليفتدىَ البَشريّةِ وتحمّلَ دينونة خطايَانَا لكىْ لا يَهلكَ كلّ مَنْ يُؤمِنُ بهِ بلْ تكونُ لهُ الحيَاة الأبديّة.. بَذلَ دَمَهُ الثمين على الصليبِ ومَاتَ ودُفِنَ وقامَ فى اليوْم الثالث.. وظهَرَ لتلاميذهِ ثمّ صَعِدَ إلى السّمَوَاتِ.. "فمِنْ ثمّ يَقدِرُ أنْ يُخلّصَ أيضاً إلى التمَام الذين يَتقدّمُونَ بهِ إلى الله إذ هو حىّ فى كلّ حين ليَشفعَ فيهمْ".. إنّ عُظمَاءَ البَشر أصحَابَ المَبَادِئ مَهْمَا كانتْ عَظمَتهُم وبُطولتهُم.. هُمْ أضْعَف مِنَ المَوْتِ لا يَقوُون علَى جَبَرُوتِهِ.. يَمُوتونَ ولا يَقومُون مِنْهُ حتى لوْ كانوا أنبيَاءً أو رُسُلاً.. وقدْ تبقىَ المَبادِئ التى نادُوا بهَا مُنتشرة بمَجْهُودِ أتبَاعِهمْ.. ظنّ شاول أوّلَ الأمْر أنّ المَسيحيّين يُضحّونَ بأنفسِهمْ مِنْ أجلِ مَبَادِىء مَاتَ صَاحبُهَا مَصلوباً.. وأنّهُمْ يُريدُونَ استبقاءَهَا ونشرَهَا والتبْشير بهَا.. فعَزَمَ على أنْ يَشلّ قدراتِهِمْ.. فإنْ استطاعَ مَاتتْ تلكَ المَبَادِئ فى مَهْدِهَا.. وجَاهَدَ مُستميتاً لتحقيق مَا عَزمَ عليْهِ.. فإذا بهِ يَكتشفُ أمْراً لمْ يكنْ فى حُسْبَانِهِ.. أنّ تلاميذ يَسُوع لا يُجَاهدُونَ أوْ يُضحّونَ بحيَاتِهِمْ مِنْ أجلِ مَبَادِئ.. بلْ مِن أجل شخص. وأنّهُمْ لا يتبعُونَ مَبَادِئ وحَسْب بلْ هُمْ يَتبَعُونَ شخصاً حيّاً.. لذلكَ نادُوا بجَوْهَر إيمَانِهمْ أنّ يَسُوعَ حىّ.[2]

لقدْ فوجئ شاول بأنّ يَسُوع الذى مَاتَ قد قامَ مِنَ الأمْواتِ وأنّ تابعيهِ يَحْيَوْنَ بهِ ولهُ.. وهَا هُو يَسُوع الذى كانَ يَضطهدُهُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ فى وَضَح النّهَار ويُناديهِ "شاول شاول لمَاذا تضطهدنى!". سَألهُ مَنْ أنتَ يَا سَيّدُ فأعلنَ الرّبّ عَنْ نفسِهِ قائلا: "أنا يَسُوع الذى أنتَ تضطهدُهُ". وإذا بالرّبّ يُحذرُهُ: "صَعْبٌ عليكَ أنْ ترفسَ مَنَاخِسَ". لأنّ مَا أصْعَبَ الوُقوف ضِدّ الحَقّ.. فيُجيبُ وهُوَ مُرتعِدٌ ومُتحيّرٌ قائلا: "يَا رَبُّ. مَاذا تريدُ أنْ أفعلَ؟". فقالَ لهُ يَسُوع: "قمْ وادْخل المَدينة فيُقالَ لكَ مَاذا يَنبغى أنْ تفعل".. إنّ يَسُوعَ الحَىّ هُو الرّبّ الذى يؤمِنُ بهِ المَسيحيّونَ.[3]

ثانياً: يَسُوعُ الحَىُّ يقفُ بنفسِهِ ليُوَاجهَ الذينَ يَضْطهدُونَنا.. كانّ مُمكناً أنْ يُعلنَ الرّبّ يَسُوعُ لشاول عَنْ شخصِهِ المُبَارك بطريقةٍ أخرَى تقودُهُ إلى الإيمَان. ولكنّ الرّبّ قصدَ أنْ يَظهَرَ لشاول مُدَافعاً عنْ أوْلادِهِ المُضْطهدينَ.. إذ وَعَدَهم الرّبّ أنهُ لنْ يتركهُمْ بلْ سَيكون مَعهُمْ كلّ الأيّام إلى انقضَاء الدّهر وكانَ الرّبّ عِندَ وَعْدِهِ ومَا زالَ. ليسَ الجهادُ فى المَسيحيّة هُو التعَاملُ مَعَ الأعْدَاء بسلاحِهِمْ.. "فإنّ مُصَارعتنا ليستْ مَعَ دَم ولحْم". لسنا فى حَرْب مَعَ بَشر اضطهدُونَا. بلْ "مُصَارعتنا مَعَ أجنادِ الشرّ الرّوحيّة" التى هى وراء كلّ شرّ يَقعُ مِنَ الأشرَار. "وأسلحةِ مُحاربتنا ضدّ قوّاتِ الظلمَةِ التى يَتزعّمُهَا إبليس ليْستْ جَسَديّة ولكنهَا قادرَة على هَدْم حُصُونهِ". إنّ المَسيحىّ فى مَركز القوّةِ لأنّ الرّبّ يُدافعُ عنهُ ويُحاربُ حُروبَهُ وينتصرُ لهُ. لذا ترَى المَسيحىّ يُباركُ مَنْ يَلعَنهُ.[4]

عَرَفَ شاول أنّ يَسُوع الذى كان يَضْطهدُهُ حَىّ. فانضمّ المُضْطهدُ إلى صُفوفِ المُضْطهَدينَ مِنْ أجل يَسُوعَ.. قال لهُ يَسُوعُ: "قمْ وقفْ على رجليكَ لأنى لهذا ظهَرْتُ لكَ. لأنتخبكَ خادِماً وشاهِداً بمَا رأيتَ. وبمَا سأظهَرُ لكَ بهِ. مُنقِذاً إيّاكَ مِنَ الشعْبِ ومِنَ الأمَم الذين أنا الآن أرْسلكَ إليْهِمْ. لتفتحَ عُيونهُمْ كى يَرجعُوا مِنْ ظلمَاتٍ إلى نور ومِنْ سُلطان الشيْطان إلى الله. حتى يَنالوا بالإيمَان بى غفرَان الخطايَا ونصيباً مَعَ القدّيسين".. ثمّ ظهَرَ الرّبّ لتلميذٍ اسمهِ حنانيَا فى دِمشق ليتقابلَ مَعَ شاول الذى أصبحَ بولس الرَسُول وقالَ لهُ: "اذهَبْ. لأنّ هذا لى إناءٌ مُختارٌ ليَحملَ اسمى أمَامَ أمَم ومُلوكٍ وبنى إسرائيل. لأنى سَأريهِ كمْ ينبغى أنْ يتألمَ مِنْ أجل اسْمى!". إنّهُ امتيازٌ قدْ "وُهِبَ لنَا لأجل المَسيح.. لا أنْ نؤمِنَ بهِ فقط بلْ أيضاً أنْ نتألمَ لأجلهِ".[5]

ليتكَ أخى تشتركُ مَعى فى هذه الصلاة: أبَانا السّمَاوىّ.. أشكرُكَ مِنْ أجل الحُريّةِ التى فى المَسيح. ومِنْ أجل العِتق مِنَ الخطيّةِ بالفدَاء العَجيب. ومِنْ أجل السّلام رَغْم الضيقات. ومِنْ أجل وَعْدِكَ الأكيدِ بالحيَاةِ الأبديّة. آتى إليكَ فى اسْم يَسُوع الذى هُو فوْق كلّ اسْم.. وَاثقاً فى مَحبتكَ يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاع تلك الرِّسَالة أو غيرها ستجدُ ذلك فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] أعمال الرُسل ٤: ١٣
[2] إنجيل يوحنا ٣: ١٦ ، الرسالة إلى العبرانيّين ٧: ٢٥ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ٩: ١٦
[3] إنجيل يوحنا ١: ١٧ ، ١٤: ٦ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٣: ١٥
[4] إنجيل متى ٢٨: ٢٠ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٦: ١٠ – ٢٠
[5] إنجيل متى ٥: ٤٣ – ٤٨ ، أعمال الرُسل ٩: ١١ – ١٦